الأربعون النووية

شرح فضيلة الشيخ

أحمد بن عمر بازمول
حفظه الله

الأستاذ المشارك بجامعة أم القرى

- ١٤٣٧\ ١٤٣٦ هـ.



ضمن دروس معهد الميراث النبوي
-تفريغ فريق صيانه السلفي-

الدرس الحادي والعشرين من الأربعين النووية

بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

إِنَ الحَمَدَ للهِ نَحمدُهُ ونَستَعِينُهُ وَنَسْتَغْفِرُهُ وَنَعُوذُ بِاللهِ مِنْ شُرُورِ أَنْفُسِنَا وَمِنْ سَيِئَاتِ أَعْمَالِنَا مَنْ يَهْدِهِ اللهَ فَلاَ مُضِلَ لَهُ وَمَنْ يُضِلْل فَلاَ هَادِيَ لَه وَأَشْهَدُ أَنْ لاَ إِلَهِ إِلاَّ اللهِ وَحْدَهُ لاَ شَرِيكَ لَهُ وَأَشْهَدُ أَنَ مُحَمَدًا عَبْدَهُ وَرَسُولُهُ .

أَلاَ وَإِنَ أَصْدَقَ الْكَلَام كَلَامُ اللهِ وَخيرَ الهُدَى هُدَى مُحمَّدٍ وَشَرَّ الْأُمُورِ مُحْدَثَاتُهَا وَكُلَّ مُحْدَثَةٍ بِدْعَةٍ وَكُلَّ بِدْعَةٍ ضَلَالَةٍ وَكُلَّ ضَلَالَةٍ فِي النَّار

أَمَّا بَعْدُ :

فقد توقفنا عند الحديث الخامس والثلاثين من الأربعين النووية ؛ وهو ما رواه أبو هريرة – رضي الله عنه– قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ – صلَّى الله عليه وسلَّم – : (لَا تَحَاسَدُوا ، وَلَا تَنَاجَشُوا ، وَلَا تَبَاغَضُوا ، وَلَا تَدَابَرُوا ، وَلَا يَبِعْ بَعْضُكُمْ عَلَى بَيْعِ بَعْضٍ ، وَكُونُوا عِبَادَ اللَّهِ إِخْوَانًا ، الْمُسْلِمُ أَخُو الْمُسْلِمِ ، لَا يَظْلِمُهُ ، وَلَا يَخْذُلُهُ ، وَلَا يَكْذِبُهُ ، وَلَا يَحْقِرُهُ ، التَّقْوَى هَاهُنَا ، وَيُشِيرُ إِلَى صَدْرِهِ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ ، بِحَسْبِ امْرِئٍ مِنْ الشَّرِّ أَنْ يَحْقِرَ أَخَاهُ الْمُسْلِمَ ، كُلُّ الْمُسْلِمِ عَلَى الْمُسْلِمِ حَرَامٌ : دَمُهُ وَمَالُهُ وَعِرْضُهُ)[1] .

---

1) رَوَاهُ مُسْلِمٌ [رقم:2564].

هذا الحديث من الأحاديث التي فيها الحثُّ على حسن الخلق بين المؤمنين ، وإزالة كلّ ما من شأنه أن يُحدث البغضاء والتهاجر والحقد ؛ من أمور الدنيا ، ومن مداخل الشيطان .

فقوله – صلَّى الله عليه وسلَّم– : (لَا تَحَاسَدُوا،) :

أي لا يحسد بعضكم بعضًا ؛ أي لا يتمنَّ أحدكم زوال النعمةِ من أخيه .

فإن الحسد : هو تمنّي زوال النعمة ، سواء تمنَّاها لنفسه أن تكون له وتزول من أخيه ، أو تمنَّى زوال النعمة من أخيه مُطلقًا ؛ فهذا من الحسد المذموم .

والحاسد كما ذكر أهل العلم هو معترضٌ على قدر الله – عزَّ وجل – ، والحاسد يظلم نفسه ويظلم أخاه ؛ ولذلك النَّبي– صلَّى الله عليه وسلَّم – قال مرة :

(علامَ يحسد أحدُكم أخاهُ إذا رأى أحدُكم من أخيهِ ما يسرُّه فليبرِّك) [2] أو كما قال – عليه الصلاة والسلام–

ثم الحسد داءٌ خبيث ، إذا أُبتلي به العبد أو أُبتلي بمن يحسده فإنَّه يؤذيه بهذا الداء ، ولكن المسلم عليه أن يتحصَّن من الحسد بالمحافظة على أذكار الصباح والمساء ، وبالمحافظة على قراءة الأذكار التي هي تحفظ العبد ، وآية الكرسي ، والمعوذتين ، ومثلًا :

" بِسْمِ اللَّهِ الَّذِي لَا يَضُرُّ مَعَ اسْمِهِ شَيْءٌ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ " ثلاث مرات .

وأيضًا : " لاَ إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَحْدَهُ لاَ شَرِيكَ لَهُ، لَهُ المُلْكُ وَلَهُ الحَمْدُ، وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ " مائة مرة في الصباح ، حرزٌ من الشيطان ، وتكتب له مائة حسنة ، وتمحى عنه مائة خطيئة ، فإن قالها في المساء كذلك .

---

2) الراوي : أبو أمامة بن سهل بن حنيف الأنصاري | المحدث : الألباني | المصدر : صحيح ابن ماجه الصفحة أو الرقم: 2844 | خلاصة حكم المحدث : صحيح

فهذه الأذكار والآيات هي التي تحفظ العبد ، أمَّا أن يعلق خرزات ، أو أن يعلق خيوطا وتميمة ونحو ذلك ؛ فإن هذه تضعف القلب ، وتضعف الإيمان ، ولا تدفع البلاء عن العبد ، بل هي من باب الشرك إن ظن أنها تنفع وتضر .

فلذلك على المسلم أن يمتثل أمر الله – عزَّ وجل – ، والحسد يحمل الإنسان على قتل أخيه كما حسد ابن آدم الأول أخاه فقتله ، والحسد يؤدي إلى قطيعة الرحم ، ويؤدي إلى التنافر بين المسلمين ، وتحصل بينهم البغضاء والشحناء ، وأيضًا الحسد كما ذكر أهل العلم كان أول ذنبٍ عصى فيه الشيطان ربه ؛ إذ حسد آدم على ما أكرمه الله – عزَّ وجل – بسجود الملائكة .

وأخبث ما يكون الحسد لمَّا يكون بين طلبة العلم ، فيحسد أخاه على ما وهبه الله – عزَّ وجل – من علمٍ ، أو حفظٍ ، أو قدرةٍ على الكلام ، أو ملكة في العلم لم يؤتَهَا ذاك الحاسد ، فيحسد أخاه على هذه النعمة .

وطالب العلم ينبغي له أن يكون مُتخلِّقًا بالأخلاق الشرعية ، وأن يكون أَولى الناس بالحذر والتحذير من الحسد ، فإن وقع بين طلبة العلم جرَّ إلى التحاسد والبغضاء ، وجرَّ إلى المعاندة ، بل كما ذكر بعض أهل العلم قد يصل الحسد بصاحبه إلى أن يردَّ النصوص الشرعية ويقع في البدع والضلالات والانحراف – نسأل الله السلامة والعافية – .

ولذلك العلماء حذَّروا من الحسد بين طلبة العلم ، وحذَّروا أن الحسد قد يكون سببًا لوقوع كلام بعض النّاس في بعض ، ولذلك بيَّنوا في باب الجرح والتّعديل أنَّ الجارح والمعدِّل لابدّ أن تكون فيه شروط ، ثمّ إذا توفّرت هذه الشّروط ، إن ظهر بالقرائن الواضحة أنّ المتكلِّم إنما تكلَّم في هذا الشّخص ، عدّله وأثنى عليه لمصلحة دنيوية ومصلحة غير دينية لا يقبل تعديله ، والعكس بالعكس ، لو جرحه حسدًا ، أو جرحه لمصالح أخرى ، لا يقبل جرحه عند العلماء ؛ لأنّ الجرح والتّعديل بابان عظيمان من أبواب الأمر بالمعروف والنّهي عن المنكر .

وكما مرّ معنا بالأمس قول النّبي – صلَّى الله عليه وسلَّم – : (لَوْ يُعْطَى النَّاسُ بِدَعْوَاهُمْ لَادَّعَى رِجَالٌ أَمْوَالَ أناسٍ وَدِمَاءَهُمْ، لَكِنَّ الْبَيِّنَةَ عَلَى الْمُدَّعِي، وَالْيَمِينَ عَلَى مَنْ أَنْكَرَ)[3] أو كما قال – عليه الصلاة والسلام– .

ولذلك العلماء ينظرون في هذا الباب ، حتّى مثلًا لو جاء رجل يخطب امرأة من رجل ، على ولي المرأة حين يسأل عن هذا الرّجل أن يتنبّه لهذا المتكلّم وهذا المسئول

– هل هو يتكلّم ديانة أم يتكلم لأجل حظّه الدّنيوي ؟

فقد يمدحه لصحبته معه وهو رجلٌ سيّء ؛ فتظلم موليتك ، ابنتك ، أو أختك .

وقد يذمّه حسدًا ، وهو رجلٌ طيب فتظلم موليتك ؛ ولذلك على الرجل أن يكون فطنًا ؛ فيسأل هنا ويسأل هنا ، ويعلم مخارج الكلام ما المراد به ، حتّى لا يظلم النّاس – بارك الله فيكم – .

ثمّ قال – عليه الصّلاة والسّلام – : (وَلَا تَنَاجَشُوا)

قبل أن ندخل لنجش ، هناك حسدٌ جائز ، وهو ما يسمّى "بحسد الغبطة "

وحسد الغبطة : هو أن يتمنَّى النّعمة التي عند أخيه مع عدم تمنّيه لزوالها ، بل يتمنَّى أن يمنحه الله وأن يرزقه الله كما رزق أخاه ، دون أن يتمنَّى زوال النّعمة ؛ فهذا يسمّى : حسد الغبطة ، أو الغبطة ، لقوله – عليه الصّلاة والسّلام – :

---

3) حَدِيثٌ حَسَنٌ، رَوَاهُ الْبَيْهَقِيّ في"السنن" [252/10]، وَغَيْرُهُ هَكَذَا، وَبَعْضُهُ فِي "الصَّحِيحَيْنِ".

(لا حسَدَ إلَّا في اثنتَيْنِ : رجُلٍ آتاه اللهُ مالًا فسلَّطه على هلَكتِه في الحقّ ، ورجُلٍ آتاه اللهُ الحِكمةً فهو يقضي بها ويُعلِّمُها)[4] .

فهذا يتمنَّى أن يكون له مال فينفق مثله ، مثل ما مرّ معنا في الفقراء لمّا قالوا للنَّبي – صلَّى الله عليه وسلَّم – : (يَا رَسُولَ اللَّهِ ذَهَبَ أَهْلُ الدُّثُورِ بِالْأُجُورِ؛)[5]

يعني تمنَّوا أن يكون لهم أموال ، أو يكون لهم عملًا صالحًا فيلحقوا بهم ، ف ﴿ذَلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ﴾[6] ، إن شاء الله رزقه ، وليعلم العبد أن الله قد يعطي العبد مالًا ، وقد يمنع عن الآخر حمايةً له من المال ؛ إذ لو أعطاه المال لفسد أو طغى ولزلّ ، وأمَّا الفقر فإنّه يكون على الطاعة ، وعلى الخير فقضاء الله وقدره للعبد كلّه خير .

ثمّ قال – عليه الصّلاة والسّلام – : (وَلَا تَبَاغَضُوا) ؛ أي لا يُبغض بعضكم.

أو قبل ذلك (وَلَا تَنَاجَشُوا) ، قوله – عليه الصّلاة وسلّم – (وَلَا تَنَاجَشُوا)

أي : لا يزد في السّلعة مَنْ لا يريد شراءها ؛ بمعنى :

أنا أريد مثلًا أن أشتري هذه السّيارة وكانت قيمتها على سبيل المثال " خمسين ألف ريال سعودي " مثلًا ، فجاء رجل آخر ، وقال : " أنا أشتريها بخمسة وخمسين ألف " ، فزاد خمسة آلاف .

– طيّب ، لمــاذا زدت الخمس آلاف ؟

---

4) الراوي : عبدالله بن مسعود | المحدث : ابن حبان | المصدر : صحيح ابن حبان الصفحة أو الرقم: 90 | خلاصة حكم المحدث : أخرجه في صحيحه

5) رَوَاهُ مُسْلِمٌ [رقم:1006].

6) سورة المائدة – الآية 54

والسيارة طبعًا معروضة لمن يزيد فيشتري ، ويُسمَّى السمسار ، أو يُسمَّى يعني بيع المزاد ، أو بيع من يزيد أو نحو ذلك ، فيجوز أن يزيد في السلعة من يريد شراءها ؛ وهذا جائز .

فلو أنَّه جاء هذا الشخص الآخر وزاد خمس وخمسين فعلًا ليشتريها ، فلا يعتبر هذا نجش

لأن النجش معناه في اللغة : الإثارة والتحريك والزيادة ، ومنه نَجَشَ الصوف : أي أثاره .

فإذا كان زاد في السلعة إضرارًا بأخيه ، فهو لمَّا قال بخمس وخمسين ، أنا سأقول بست وخمسين أو مثلًا بستين ، فأشتريها بستين ألف ، كنت ممكن أشتريها بخمسين ألف .

فإن قيل : طيب هذا فيه ربح للتاجر ؛ أقول : ربح للتاجر لو كان يريد هذاك الآخر شراءها ، وأمَّا إذا ما أراد شراءها وزاد في قيمة السلعة ؛ فهذا نجش ، وفيه إضرارٌ بأخيه .

والنجش : زيادة في القيمة كان متفقًا مع صاحب السلعة أو لا ، كلَّه حرام ؛ والمقصود : أن لا يؤذي المسلم أخاه بالزيادة ، بأي نوع من أنواع الزيادة ، لا في مال ، ولا في أمرٍ من أمور الدنيا بجسدٍ ، و نحو ذلك كما سيأتي .

ثم قال: (وَلَا تَبَاغَضُوا)

– يعني : لا يُبغض بعضكم بعضًا ، يعني يكره بعضكم بعضًا ، فيكون بينكم البغضاء والشحناء والحقد الدفين ، فتنتفي الأخوة ، وتنتفي الألفة والمحبة في الله ، وتضعف أواصر الأخوَّة في المجتمع ، ممَّا يُضعف المجتمع ، ويُورث الفتن والبلابلَ و التقاطع والتهاجر في المجتمع المسلم .
المسلم كما أخبر النَّبي – صلَّى الله عليه وسلَّم – كما مرَّ معنا : (لَا يُؤْمِنُ أَحَدُكُمْ حَتَّى يُحِبَّ لِأَخِيهِ مَا يُحِبُّ لِنَفْسِهِ)[7] من الخير ، وأيضًا مرَّ معنا أو سمعنا كثيرًا (الْمُسْلِمُ أَخُو الْمُسْلِمِ) .

---

[7]) رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ [رقم:13]، وَمُسْلِمٌ [رقم:45]

وسيأتينا هذا – إن شاء الله – ، وأيضًا : (مَثَلُ الْمُؤْمِنِينَ فِي تَوَادِّهِمْ وَتَرَاحُمِهِمْ وَتَعَاطُفِهِمْ كَمَثَلُ الْجَسَدِ؛ إِذَا اشْتَكَى مِنْهُ عُضْوٌ تَدَاعَى لَهُ سَائِرُ الْجَسَدِ بِالسَّهَرِ وَالْحُمَّى)[8] ، أو كما قال – عليه الصلاة والسلام –

وقد مرَّ معنا بالأمس القريب أنَّ الأخوَّة بين المسلمين والتآلف هذا مطلبٌ شرعي ، وأمرٌ مرغَّب فيه بأدلة الكتاب والسنة ؛ فمن ها هنا نهى النَّبي – صلَّى الله عليه وسلَّم – أن يُبغضَ بعضنا بعضًا .

وقوله – صلَّى الله عليه وسلَّم –: (وَلَا تَبَاغَضُوا) ، يعني : لو جاء الشيطان وحرَّك في نفسك بغض أخيك لا تلتفت إليه ، وأزِلْ الأسباب التي تؤدي إلى البغضاء بينكم ، فإن كان مالًا فأرجعه له ، وإن كان كلامًا فاعتذرْ منه ، وإن كان سوءَ ظنٍ فبيّن له .

لأنَّ الشيطان له مداخل على الإنسان يضله ويحرفه وحريصٌ على أن يفرِّق بين الاثنين ، وأقرب الشياطين ، ومردة الشياطين للشيطان ؛ من يُفرق بين المرء وزوجه ، فهذا الذي يُحدث الطلاق بين الرجل والمرأة ، هذا حبيب الشيطان من جنوده ، ويقول له : " أنت أنت " .

فلذلك على المسلم أن يتنبَّه لهذا ، فلا يُبغض إخوانه ، ولا يقع فريسة للشيطان ، فيقع في الطلاق ثم يندم ، إذا لم يكن هناك عذرٌ شرعي ، وقناعةٌ تامة ، وبذل للأسباب فيستعجل بالطلاق فيندم ، والله – عزَّ وجل – قد جعل له مندوحة ، قد جعل له سعة من الوقت ، يختار ويفكر ويستخير فيوقع طلقة واحدة ، وأعطى له وقت ثلاث حيض ، أو ثلاثة أشهر إن لم تكن تحيض ، أو مدة حملها إن كانت حاملًا ، فيأتي الشيطان ويستعجل فيطلق ثلاث تطليقات ، وأحيانًا يُطلق ألف تطليقة ، ثلاثة تقع على قول بعض أهل العلم : "والبقية مردودة على

---

[8]) صحيح البخاري، برقم: (6011)، وصحيح مسلم، برقم: (2586), واللفظ له

وجهك" أيها الزوج الذي أطعتَ الشيطان كما قال بعض السلف : " والبقية مردودة على وجهك " .

فإذًا – بارك الله فيكم – هذا بابٌ مهم ، ولذلك على طلبة العلم أن يحرصوا على بثِّ مثل هذه الأمور ؛ أعني المحبة والمودة وإزالة البغضاء .

فلا يليق بطالب العلم السلفي أن يسعى بالفرقة بين إخوانه السلفيين ، ولا يليق بطلاب العلم السلفيين أن يبغض بعضهم بعضًا حسدًا ، أو لأمرٍ من أمور الدنيا ، أمَّا إن كانت البغضاء للدين ولمخالفة شرعِ الله ؛ فإن النَّبي – صلَّى الله عليه وسلَّم – لم يكن يغضب إلا إذا انتهكت محارم الله فإنه يغضب .

والنَّبي – صلَّى الله عليه وسلَّم – أمرنا وحذَّرنا من أهل الأهواء والبدع ، وإنَّما كلامي بين الإخوة السلفيين فيما بينهم ؛ فتجد هذا يبغض هذا ، وهذا يحارب هذا

– وتســـأل مـــــا السبب ؟

– لا سبب ، إلا أمور دنيوية ، وإلا مداخل شيطانية ، فيفرِّقون بين الأخ وأخيه ، وبين الابن وأبيه ، ويسعون في ذلك.

فهذا لا يليق بنا نحن المسلمين عمومًا ، ونحن السلفيين خصوصًا ، – بارك الله فيكم – لابد أن نتواضع لله وأن نزيل هذه الأسباب وأن نسعى إلى الصلح والإصلاح بين المسلمين .

والإنسان إذا تنازل عن حقه فإن الله يرفعه ويعوضه بالأجر ؛ فمن تواضع لله رفعه ، (ولبيت في ربضِ الجنةِ لمن ترك المِراءَ ولو كان محقًّا)[9] .

أيضًا هذا من أسباب التباغض : المراء والجدال والتناحر بين الإخوان ، هذا يتكلَّم ؛ فتجد السلفيين في التويتر والواتس اب وفي مواقع التواصل أمام الناس ، هذا يشتم ، وهذا يؤازر وهذا يكشف أمرًا ، وهذا يطرح كلامًا . والنار تشتعل ؛ تشتعل بين السلفيين .

هل هذا امتثالٌ لأمر النبي – صلَّى الله عليه وسلَّم – (وَلَا تَبَاغَضُوا، وَلَا تَدَابَرُوا) ، (الْمُسْلِمُ أَخُو الْمُسْلِمِ، لَا يَظْلِمُهُ، وَلَا يَخْذُلُهُ، وَلَا يَكْذِبُهُ، وَلَا يَحْقِرُهُ،) كما سيأتينا ؟؟

– فبارك الله فيكم – ، هذه نصيحة لنفسي ونصيحة لإخواني جميعًا أن نتنبَّه لمزالق الشيطان . سبحان الله ، أخوك يتوافق معك في المنهج ، ويتوافق معك في العقيدة ، ويتوافق معك في معاداة أهل البدع .

– لمـــــاذا تكشِّر عن أنيــــابك ؟

– ولمـــــاذا تغرس فيه أظفـــــارك ؟

بدل أن تبتسم في وجهه فتكون بسمتك صدقة ، وبدل أن تفرّج كربه فيفرّجِ الله كربك ، وبدل أن تنفس عنه فينفس الله عنك ، كما مرَّ معنا بالحديث القريب .

– فبارك الله فيكم – هذا بابٌ عظيم ، ولعلِّي – إن شاء الله – أخصص محاضرة وكلمة عن الأخوة في تفسير قوله – عزَّ وجل – :

8) الراوي : أبو أمامة الباهلي ،المحدث : الألباني،المصدر :السلسلة الصحيحة . الصفحة أو الرقم: 273 ، خلاصة حكم المحدث :حسن لغيره

﴿ إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلِحُوا بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ ﴾ ([10])

وستكون – إن شاء الله – قريبة ويتم الإعلان عنها ، وهي محاضرة في نظري مهمة ، وشيخنا الإمام ربيع المدخلي – حفظه الله تعالى – منذ أن كان في مكة وهو يسعى ويجهد ويبذل وقته وماله وصحته والله في الإصلاح بين السلفيين ، وفي نزع الفتيل – جزاه الله خيرًا – ، من إمامٍ مصلح ومن عالم ربَّاني يسعى لجمع الشتات ، ويسعى لإزالة الفرقة والخلاف ، ونحن أبناؤه ، وطلابه ، ونحبه – جزاه الله خيرًا – في الله .

علينا أن نمتثل نصيحة هذا الإمام ؛ لأنَّ نصيحته – جزاه الله خيرًا – مبنية على الكتاب والسنة وما كان عليه سلف الأمة .

كان العلماء سابقًا يتناظرون ، ويتكلَّم هذا ، ويرُّد هذا ، ثم إذا انتهى المجلس ، أخذ بعضهم بيد بعض وابتسموا وتكلموا ؛ لأن القضية ليست ذاتية ونفسية ؛ القضية لله – عزَّ وجل – .

فصحِّح نيتك يا عبد الله ، وراجع نفسك في هذه المسائل .

ثم قال – صلَّى الله عليه وسلَّم – : (وَلَا تَدَابَرُوا)

– يعني : لا يعرض بعضكم عن بعض فيعطي هذا دبره ؛ أي ظهره ، وهذا دبره ؛ أي ظهره ، فيرى أخاه المسلم فلا يقبل عليه ، يعطيه ظهره وينصرف حتى لا يكلمه ولا يسلم عليه ولا يحصل بينهما كلام ، هكذا يستجيب هذا المعرض لما يمليه الشيطان ، ولما يؤزُّه به عدوه من شياطين الإنس والجن ؛ لا تكلِّم فلان ، لا تصالحه ، شُدَّ عليه ، يتمنى له كذا ، يا أخي هذا أخوك ، هذا أخوك المسلم ﴿ إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ ﴾ ([11])

---

9) سورة الحجرات - الآية : 10

11) سورة الحجرات – الآية 10

﴿ مُحَمَّدٌ رَّسُولُ اللَّهِ ۚ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ﴾ (12)

هذا أخوك ، لماذا تقل لأخيك الآخر شدَّ عليه ، وافعل به كذا ، ولا تسامحه ، واتركه كذا ، وتكلَّم عليه أمام الناس ، ويعني وحذِّر منه ؟

أخوك هذا ؛ عندك شيء خطأ بيّن له وانصحه ، ليس مبتدعًا ولا ضالًا ، بيّن له الحق ، وادعه إلى الحق ، وانصحه ، أين قوله – عزَّ وجل – ﴿ وَالْعَصْرِ ﴿١﴾ إِنَّ الْإِنسَانَ لَفِي خُسْرٍ ﴿٢﴾ إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَتَوَاصَوْا بِالْحَقِّ وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ ﴿٣﴾ (13) ،

– أيـــن التواصـــي علـــى الحق ؟!

– أيـــن الصـــبر علـــى ذلك ؟!

لك أجرٌ عند الله – عزَّ وجل – إذا نصحت أخاك فاهتدى وترك الباطل ، لك أجرٌ عند الله – عزَّ وجل – في هذا الأمر .

– لماذا نستجيب للشياطين ، ونتدابر ونتقاطع – بارك الله فيكم – ؟؟

ولذلك شوفوا النَّبي – صلَّى الله عليه وسلَّم – نهى عن الأسباب التي تؤدي إلى أذية الآخرين كالحسد ، ونهى عن الأسباب التي تؤدي إلى التباغض كالتناجش ، ثم نهى عن التباغض نفسه ، ثم نهى عن آثاره ونتائجه وثماره كالتدابر .

يعني قطع كل طريق لقطع أواصر الأخوة بين المسلمين ، وأنت يا عبد الله تهجر أخاك وتؤذيه ، وتسعى لمقاطعته وعدم الاتصال به ، بل ترى اتصاله ولا تتواصل معه لغير عذر شرعي ، فهذا لا شك يخالف حديث النَّبي – صلَّى الله عليه وسلَّم – .

---

12) سورة الفتح - آية 29

13) سورة العصر

وأيضًا التدابر ؛ لمَّا يراك هذاك أنَّك أدبرت عنه يزداد غيظًا ، ويزداد حقدًا وبغضًا

– فلمـــــــاذا؟

– لمــــاذا تدبر عن أخيك – بارك الله فيكم – ؟

ثم قال – صلَّى الله عليه وسلَّم – : (وَلَا يَبِعْ بَعْضُكُمْ عَلَى بَيْعِ بَعْضٍ)

يعني : أراد – صلَّى الله عليه وسلَّم – أنّ المسلم إذا اشتري أخاه سلعة لا يذهب لصاحب السلعة ، طبعًا يشتري السلعة وما قبضها ما استلمها ، فيذهب إلى صاحب السلعة ، فيقول له : " اعطني ، أو أنا أشتري منك هذه السلعة التي بعتها لفلان بعشرين ، أنا أشتريها منك بخمسة وعشرين " ، فيعطيه ثمنًا أكثر ؛ طبعًا فلان البائع لو باعه والثاني علم

– مــــا الذي يحصـــل ؟

– يحصل البغضاء والتدابر والشحناء وربما المقاتلة ، لا يجوز أن تبيع على بيع أخيك ، كما ولا يجوز كما قال العلماء : لأن لفظ البيع يشمل البيع ويشمل الشراء ، وقد جاء : " ولا يشتري بعضكم على شراء أخيه " .

ولا يجوز أيضًا العكس ؛ لو أخوك اشترى السلعة بثلاثين ريال ، فلا تأتي إليه وتقول له أنا أعطيك سلعة أحسن منها بخمسة وعشرين ، فإنَّ هذا لا يصلح ، وهذا مثال ؛ يعني كل أمر يؤدي إلى البغضاء ، ويؤدي إلى الأذية ، ويؤدي إلى الشحناء ، فلا تفعله يا عبد الله ؛ لأنه هذا نهي ، (لَا تَدَابَرُوا) نهي ، (لَا تَبَاغَضُوا) نهي ، (لَا تَحَاسَدُوا) نهي ، (وَلَا يَبِعْ بَعْضُكُمْ عَلَى بَيْعِ بَعْضٍ) هذا أيضًا نهي .

والنهي يقتضي التحريم ؛ يعني ليس أمرًا مكروهًا يثاب تاركه ولا يعاقب فاعله ، لا ، هذا أمرٌ محرم.

ولذلك النَّبي – صلَّى الله عليه وسلَّم – قال : (دعوا الناس يرزق الله بعضهم من بعض)[14]، كما قال – عليه الصلاة والسلام –

ثم قال – عليه الصلاة والسلام – ، وهذه الخلاصة والنتيجة والثمرة : (وكُونُوا عِبَادَ اللَّهِ إخْوَانًا) ، يعني : إذا أزلتم الأسباب التي تؤدي إلى التخالف ، وإلى المقاطعة ، والمدابرة و و و... إلى آخره ؛ فكن أخًا لأخيك المسلم ، فأنتم عباد الله ؛ هذا تذكير .

تذكير بأننا عباد لله ، والله الذي أمرنا بالأخوَّة ، ونهانا عن كلِّ ما فيه سبيلٌ لقطع الأخوة ، كما قال الله – عزَّ وجل – في سورة الحجرات ؛ لمَّا ذكر – سبحانه وتعالى – قوله :

﴿ إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلِحُوا بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ ﴾[15] ؛ فإنَّه – سبحانه وتعالى –

– مـــاذا قـــال بعد أن أمـــر بالصلح بين الأخـــوين ؟

قال : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا يَسْخَرْ قَوْمٌ مِّن قَوْمٍ عَسَىٰ أَن يَكُونُوا خَيْرًا مِّنْهُمْ وَلَا نِسَاءٌ مِّن نِّسَاءٍ عَسَىٰ أَن يَكُنَّ خَيْرًا مِّنْهُنَّ ۖ وَلَا تَلْمِزُوا أَنفُسَكُمْ وَلَا تَنَابَزُوا بِالْأَلْقَابِ ۖ بِئْسَ الِاسْمُ الْفُسُوقُ بَعْدَ الْإِيمَانِ ﴾[16] .

ما يجوز لك أن تقول لأخيك يا دبة أو يا أعور أو يا أسود ، أو مثلًا إذا كان طويل ونحيف مثلًا فتقول : " يا مسواك " أو " يا عصا " .

---

12) الراوي : جابر بن عبدالله | المحدث : مسلم | المصدر : صحيح مسلم الصفحة أو الرقم: 1522 | خلاصة حكم المحدث : صحيح

15)سورة الحجرات - آية 10

16) سورة الحجرات - آية 11

فما يجوز مثل هذه الألقاب السيِّئة التي تؤذي بها أخاك المسلم ؛ فإن هذا الكلام يجرح الفؤاد والقلب ، ويحدث البغضاء و الشحناء والحقد بين المسلمين ، ومثل ما يقولون العامّة : لا تخفف دمك وتستسهل هذا الكلام ، (فإن الإنسان قد يقول الكلمة من سخط الله لا يلقي لها بالا فتهوي به في النار سبعين خريفا) [17] أو كما قال– عليه الصلاة والسلام – تؤذيه بكلامٍ تجرحه .

وكما قال النَّبي – صلَّى الله عليه وسلَّم – لمعاذ ، حين سأله معاذ – ﷺ – ، لمَّا قال النَّبي لمعاذ : (أولا أدلك على ملاك ذلك كله ؟ كف عليك هذا ، وأمسك بلسانه) ، قال معاذ : أئنا لمؤاخذون بما نتكلم به يا رسول الله ؟ قال : (ثكلتك أمك يا معاذ ، وهل يكُب الناس على مناخرهم أو قال على وجوههم إلا حصائد ألسنتهم) [18]

فتنبَّه يا عبد الله ، واحذر من سخط الله ، واحذر من الأمور التي تؤدي إلى القطيعة ، وتؤدي إلى التنافر بين المسلمين وإلى التدابر والتقاطع .

(وَكُونُوا عِبَادَ اللَّهِ إِخْوَانًا) ، شوف –بارك الله فيكم– ، انظروا :

(كُونُوا) : أمر ، والأمر يقتضي الوجوب ؛ يعني أخوك إن لم تحبه فلا تبغضه فلا أقلَّ من أن تعامله بحق أخوة الإسلام فلا تؤذه ولا تبغضه ، ولا تتسبب في إيذائه ولا تشعره بالبغض ؛ لأنه أخوك ؛ فأخوَّة الدين أقوى من أخوَّة النسب ﴿ إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ ﴾ [19] – بارك الله فيكم – .

---

17) يقول صلى الله عليه وسلم" :رب كلمة يقولها العبد لا يلقي لها بالا تهوي به في النار سبعين خريفا] "سنن الترمذي الزهد(2314) ، سنن ابن ماجه الفتن(3970) ، مسند أحمد بن حنبل[(2/533)

18) رواه أحمد والترمذي وابن ماجه

19) سورة الحجرات – الآية 10

ثم قال – صلَّى الله عليه وسلَّم – : (الْمُسْلِمُ أَخُو الْمُسْلِمِ ، لَا يَظْلِمُهُ) الآن يترتب ويذكر أمور مهمة :

(لَا يَظْلِمُهُ) ، لا يتسبب في ظلمه ، ولا يعين على ظلمه ، بل المسلم ينصر أخاه ويذب عن أخيه ؛ فإنَّ النَّبي – صلَّى الله عليه وسلمَّ – قال : (من ذبَّ عن عرض أخيه ، ذبَّ الله عن وجهه النار يوم القيامة)[20] أو كما قال – عليه الصلاة والسلام – .

فإياك وظلم إخوانِك ، أو السعي في ظلمهم ، ولا تعن يا عبد الله من كان ظالمًا في ظلمه ، ولا تتسبب يا عبد الله في ظلم إخوانك ؛ فتعلم أن فلانًا لو علم أن فلانًا قال كذا أو عمل كذا فإنه يظلمه ويؤذيه ، يأخذ ماله أو يضربه أو يشتمه أو يحذر منه ظلما وعدوانا ، فلا تفعل هذا .

بعض الناس – نسأل الله السلامة و العافية – كالأطفال لا عقول لهم ؛ يسمع الشيء يروح ينقله لفلان وفلان ممَّا يؤدي إلى الفرقة والشتات ، كالطفل لا يميز بين الصالح والطالح ، بل ربما الطفل ما نقل مثل هذه الأمور وهذا يسعى لنقلها ، فهؤلاء نذكّرهم بأحاديث النميمة فـ (لا يدخل الجنة قتّات) أي : نمّام – بارك الله فيكم – .

فلذلك قال : (لَا يَظْلِمُهُ، وَلَا يَخْذُلُهُ)

يعني : ينصره ؛ فإذا رآه مظلومًا نصره إن استطاع ، كلٌ على حسب قدرته ، فإن لم يستطع نصرته فلا يعن على ظلمه وخذلانه ، فلا يعن على ظلمه وإخوانه وخذلانه ، ولا يسلمه للأعداء ولا يمكنهم منه ، بل يحاول نجدته ويحاول نصرته ويحاول دفع الأذى عنه .

– لمـــــــاذا ؟

– لأنه أخوك .

20) من ذب عن عرض أخيه المسلم ذب الله عنه النار يوم القيامة (رواه الترمذي من حديث أبي الدرداء رضي الله عنه.

– أخــــــــــوك في إيـــش ؟

– أخوك في الدين ، وأخوَّة الدين أقوى من أخوة النسب .

قال : (وَلَا يَخْذُلُهُ) ولذلك جاء في حديث (انصر أخاك ظالمًا أو مظلومًا ، قالوا : يا رسول الله إذا كان مظلومًا معلوم كيف ننصره ، ولكن كيف إن كان ظالمًا ؟ قال : تمنعه من الظلم)[21] أو كما قال – عليه الصلاة السلام – .

ثم قال : (وَلَا يَكْذِبُهُ) ؛ أي لا تكذب عليه في المعاملة ، ولا تعِن على الكذب عليه ، بل تكن معه صادقًا وتحب له ما تحب لنفسك من الخير .

ثم قال : (وَلَا يَحْقِرُهُ) ؛ أي لا يزدريه ، ولا يشينه ، ولا يقلل من أمره ؛ لأنَّ المسلم عند الله عظيم ؛ فعظمة المسلم كما جاء عن ابن عمر : " نظر يوما إلى الكعبة فقال ما أعظمك وأعظم حرمتك والمؤمن أعظم حرمة منك ".

ففي غاية المرام للإمام الألباني : نظر عبد الله بن عمر يوما إلى الكعبة فقال ما أعظمك وأعظم حرمتك والمؤمن أعظم حرمة منك حسن أخرجه الترمذي وابن حبان .
قال الإمام الألباني : حسن.

فلذلك – بارك الله فيكم – يقول النَّبي – صلَّى الله عليه وسلَّم – : (وَلَا يَكْذِبُهُ) يعني لا تكذب عليه ولا تعن على الكذب عليه ، قال : (وَلَا يَحْقِرُهُ) – كما سبق – .

ثم قال – عليه الصلاة والسلام – : (التَّقْوَى هَاهُنَا)

---

21) قال رسول الله – صلى الله عليه وسلم) : - انصر أخاك ظالماً أو مظلوماً ، فقال رجل : يا رسول الله ، أنصره إذا كان مظلوماً ، أفرأيت إذا كان ظالماً كيف أنصره ؟ قال تحجزه ، أو تمنعه من الظلم فإن ذلك نصره (رواه البخاري

يعني : الباعث على التقوى ، والعبرة في أمر التقوى ليس أن تتظاهر بالخشوع وقلبك لا خشوع فيه ، ولا أن تتظاهر بالورعِ والتقوى وقلبك قلب ذئبٍ ، كما يُظهر بعض الناس نفسه بأنه مشفقٌ على إخوانه لا يحب أكل مالهم ولا يحب إيذائهم وهو كالأفعى وكالعقرب من أسفل ؛ يؤذيهم ويلعب عليهم .

فإن : (التَّقْوَى هَاهُنَا) في القلب ، أشار النَّبي – صلَّى الله عليه وسلَّم – إلى صدره ؛ ولذلك جاء في الحديث عن النَّبي – صلَّى الله عليه وسلَّم – : (إن الله لا ينظر إلى صوركم وأموالكم ، وإنما ينظر إلى قلوبكم وأعمالكم) [22]أو كما قال – عليه الصلاة والسلام – .

ثم – كما مر معنا – (أَلَّا وَإِنَّ فِي الْجَسَدِ مُضْغَةً إذَا صَلَحَتْ صَلَحَ الْجَسَدُ كُلُّهُ، وَإِذَا فَسَدَتْ فَسَدَ الْجَسَدُ كُلُّهُ، أَلَا وَهِيَ الْقَلْبُ) [23].

ثم قال – عليه الصلاة والسلام – : (بِحَسْبِ امْرِئٍ مِنْ الشَّرِّ أَنْ يَحْقِرَ أَخَاهُ الْمُسْلِمَ)

يعني : لو ما عنده ذنب إلا حقران وازدراء والاستهانة بأخيه المسلم لكان هذا شرًا عظيمًا.

فلا تحقر أخاك ، بل أحبه في الله ؛ لأنه ولو كان فقيرًا مُعدمًا ، ولو كان ضعيفًا مفلسًا فهو مسلم أولًا وآخرًا مؤمن بالله .

،أما قال النَّبي – صلَّى الله عليه وسلَّم – : (رُبَّ أشعث مدفوعٍ بالأبواب لو أقسم على الله لأبره) [24] ، أي لاستجاب له ، يعني ربما إنسان فقير الناس ما تستقبلوا ربما تطردوا من الأبواب لفقره وكون ثيابه مُغبرّة ، يعني : بالية ، (لو أقسم على الله لأبره) لاستجاب دعاءه لأن قلبه مليء بالإيمان .

---

[22]) أخرجه مسلم (11 / 8)و ابن ماجه (4143)و أحمد (2 / 539)و أبو نعيم في "الحلية (98 / 4) "و البيهقي في "الأسماء و الصفات) "ص . (480

23) رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ] رقم[52: ، وَمُسْلِمٌ] رقم.[1599:

24) رواه مسلم

قال : (بِحَسْبِ امْرِئٍ مِنْ الشَّرِّ أَنْ يَحْقِرَ أَخَاهُ الْمُسْلِمَ، كُلُّ الْمُسْلِمِ عَلَى الْمُسْلِمِ حَرَامٌ: دَمُهُ وَمَالُهُ وَعِرْضُهُ")

يعني : يحرم عليك أن تعتدي على أخيك في دمه بجرحٍ أو قتل أو قطع ، ويحرم عليك أن تعتدي على أخيك في ماله – كما مرَّ معنا – ، ويحرم عليك أن تعتدي على أخيك في عرضه ، بأن تذُّمه وهو ليس بمذموم ، أو تسبه وتؤذيه في غيبته ، أو تقدح فيه بأنه سارق ، أو يفعل الفواحش ، أو أنه ليس بكذا وكذا وهو بريء .

فاعلم أنك إن كنت ظالمًا أنك محاسب ، وإن كنت مستهينًا بأعراض الناس فأيضًا محاسب ، لا يجوز لك أن تتكلم في عرض الناس إلا بحجةٍ وبرهان ، على حسب ما أجازه الشرع من أبواب الغيبة الستة ، أمَّا غير ذلك فلا .

وأنبِّه على أمرٍ مهم :

فإنَّ بعض الناس قد يُعدِّلُ أشخاصًا يستهين في باب التعديل وهذا خطأ ، فإنه كما لا يجوز أن تجرح إلا بحجة وبجرحٍ مفسَّر ، كذلك لا يجوز أن تُعدِّل إلا من كان مستحقا للعدل والعدالة والتعديل ؛ فإن هذا ظلم أن تزكي المجروحين ظلم ، وأن تجرح المعدَّلين ظلم ، والعدلُ أن تزكي المُعدَّل وتجرح المجروح .

الحديث الثالث والثلاثون :

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ – ﷺ – قال : قال رسول الله – صلَّى الله عليه وسلَّم – : (مَنْ نَفَّسَ عَنْ مُؤْمِنٍ كُرْبَةً مِنْ كُرَبِ الدُّنْيَا نَفَّسَ الله عَنْهُ كُرْبَةً مِنْ كُرَبِ يَوْمِ الْقِيَامَةِ ، وَمَنْ يَسَّرَ عَلَى مُعْسِرٍ ، يَسَّرَ اللَّهُ عَلَيْهِ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ ، وَمَنْ سَتَرَ مُسْلِما سَتَرَهُ اللهُ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ ، وَاَللَّهُ فِي عَوْنِ الْعَبْدِ مَا كَانَ الْعَبْدُ فِي عَوْنِ أَخِيهِ ، وَمَنْ سَلَكَ طَرِيقًا يَلْتَمِسُ فِيهِ عِلْمًا سَهَّلَ اللَّهُ لَهُ بِهِ طَرِيقًا إلَى الْجَنَّةِ ، وَمَا اجْتَمَعَ قَوْمٌ فِي بَيْتٍ مِنْ بُيُوتِ اللَّهِ يَتْلُونَ كِتَابَ اللَّهِ ، وَيَتَدَارَسُونَهُ بَيْنَهُمْ ؛ إلَّا نَزَلَتْ عَلَيْهِمْ

السَّكِينَةُ ، وَغَشِيَتْهُمُ الرَّحْمَةُ ، وحفَّتهم المَلائكَة ، وَذَكَرَهُمْ اللَّهُ فِيمَنْ عِنْدَهُ ، وَمَنْ بَطَّأَ بِهِ عَمَلُهُ لَمْ يُسْرِعْ بِهِ نَسَبُهُ) .[25]

هذا الحديث متمّمٌ للحديث السابق ، ففي الحديث السابق فيه نهيٌ عن بعض الأمور القبيحة والذميمة ، وفي هذا الحديث أمر ببعض الأمور الطيبة النافعة للفاعل ولإخوانه ، وهذا الحديث – كما قال العلماء – هو دليل على قاعدة الجزاء من جنس العمل .

فقال – عليه الصلاة والاسلام – : (مَنْ نَفَّسَ عَنْ مُؤْمِنٍ)

أيِّ مؤمن ، بعض الناس ما يشتغل إلا بأناس معينين من أقربائه مثلًا ، أو بأناسٍ معينين من حزبه وجماعته ، أمَّا إخوانه الآخرين فلا يُعن مع قدرته على إعانتهم ؛ فهذا خطأ لأنَّ كلهم إخوانك ، إذا استطعت أن تنفس عن أي أحد من إخوانك فنفِّس عن كربته .

والكربة : هي الشدة والضيق .

فإذا وجدت أخاك في كرب وضيق إمَّا لقلة مال ، وإمَّا لعدم العمل ، وإمَّا لبعض الأمور التي يحتاج فيها إلى النصح والتوجيه والإعانة فتنفِّس عنه بكلام يريحه فلا تبخل على أخيك ، فإن نفست عنه في الدنيا فإن الله ينفس عنك كربة من كرب يوم القيامة ؛ أجر عظيم على عمل يسير جدا .

ماذا تخسر لو نفست عن أخيك كربة ؟ فسددت عنه دينًا ، أو قضيت له أمرًا ، أو أعنته على أمر كان يُحدِث له الضيق والتعب والكربة فنفستها عنه – بارك الله فيكم – .

ثم قال : (وَمَنْ يَسَّرَ عَلَى مُعْسِرٍ ، يَسَّرَ اللَّهُ عَلَيْهِ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ)

---

[25]) رواه مسلم بهذا اللفظ رقم[269:

يعني : إن جاء أو إن كان لك مال على إنسانٍ معسر ، وجاء وقت سداد هذا المال ، وهو ما عنده ، فقلت له : أنا أؤجلك إلى السنة القادمة ، أو إلى شهرين أو ثلاثة ، أو إلى أن ييسرها الله لك ؛ فإن الله ييسر لك أمورك في الآخرة والدنيا.

كما جاء عن رجل ممن كان قبلنا ، كان يعطي الناس أموالًا ، وكان يُنظِر المعسر ويتصدق عليهم ، فذكر النَّبي – صلَّى الله عليه وسلَّم – أن الله يسَّر عليه كما يسَّر على الناس في الدنيا ، ولاحظ أن الله يُيسر عليك في الدنيا والآخرة وهذا كثير من الناس يحب التيسير في الأمور ؛ فإذا أردت أن تتيسر أمورك فيسِّر أمور الناس .

أيضًا المعسر ليس فقط أن يكون يعني ممَّن لك دين عليه ، قد يكون على شخصٍ آخر فتعينه على السداد أو تشفع له على التأخير .

ثم قال : (وَاللَّهُ فِي عَوْنِ الْعَبْدِ مَا كَانَ الْعَبْدُ فِي عَوْنِ أَخِيهِ) ، هذه عامة ، في كل الأمور ، في كل أمرٍ تنفع به أخاك تيسر له أمرًا يصعب عليه ، تدله على أمر يحصل له به الخير ، تعينه على أموره ، فالله يكن في عونك يا عبد الله إن كنت في عون أخيك .

و(وَمَنْ سَتَرَ مُسْلِما سَتَرَهُ اللهُ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ) أي : أي أن أخاك لو وقع في أمر محرج ، وهذا الأمر خاص به ولا يتكرر ، فلا داعي لفضحه ونشره بين الناس وهتك عرضه .

وهنا لا بد أن نذكر أن الواتس آب والتويتر والفيس بوك اتخذه بعض الناس ذريعةً ووسيلةً لفضح إخوانه ، وذكر ما يكون في المجالس الخاصة ، وضرب بعضهم ببعض ؛ فلا شك أن هذا ما ستر على أخيه المسلم ، فإن الواجب على المسلم أن يستر على إخوانه في غير معصية الله – عزَّ وجل – ، وأن يسعى لإصلاحهم فيحب لنفسه ما يحب لإخوانه .

– هل ترضى أنت إذا فعلت أمرًا في الخاص أن يأتي أحد فينشره في الملأ ؟

لا ترضى ، تغضب وتشتم وتقول وتقول ، ثم تفعل أنت الأمر الذي غضبت فيه لنفسك لكن لم تغضب فيه لغيرك ، فاتق الله يا عبد الله في نفسك .

ثم قال : (وَمَنْ سَلَكَ طَرِيقًا يَلْتَمِسُ فِيهِ عِلْمًا سَهَّلَ اللَّهُ لَهُ بِهِ طَرِيقًا إِلَى الْجَنَّةِ) هذا فيه ترغيبٌ في طلب العلم ، وفي سلوك طريق العلم ؛ فإن العلم هو إرث الأنبياء ، فإن الأنبياء لم يورثوا درهمًا ولا دينار ، وإنما ورثوا العلم فمن أخذه أخذ بحظ وافر .

وقوله – عليه الصلاة والسلام – : (وَمَنْ سَتَرَ مُسْلِما سَتَرَهُ اللهُ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ)

بيَّنتُ أن المراد فيما يكون من أمورٍ خاصة بالشخص ، ولا تعود بالضر على المجتمع ، ولكن إذا كان الانسان عنده مثلا قضايا إرهابية ، أو مخدرات ، أو يأتي بأمر لإثارة البلبلة وإثارة الفتن في المجتمع ، والخروج على السلطان ، أو أن يتلاعب بأعراض النساء ، أو أن يكوِّن عصابة ليسرق الأموال ، أو أي أمر يكون فيه ضرر على الناس ؛ فالواجب إبلاغ ولاة الأمر عنهم ، والسعي لكف شرِّهم بالطرق الشرعية .

فإن هذا ليس من باب النميمة وليس من باب الأذية ، بل هذا واجب شرعًا ، كما ذكر العلماء وقرَّروه في كتبهم ودروسهم ، أن الإبلاغ وأن السعي لقطع دابر المفسدين في الأرض أمرٌ واجبٌ على من كان مستطيعًا أن يبلغه لولاة الأمر أو نوابهم ليقيموا شرع الله فيه .

ثم – كما سبق – أن طلب العلم يسهل طريقا إلى الجنة ؛ لأنه يتعلم الخير فيفعله ويتعلم الشر فيجتنبه .

" تعلمت الشر لا للشر ولكن لتوقيه ومن لا يعلم الخير من الشر يقع فيه " .

وكان حذيفة يسأل النَّبي – صلَّى الله عليه وسلَّم – عن الشر مخافة أن يدركه ؛ فالعلم نافعٌ لأصحابه يدفع الظلم ويدفع الجهل .

وقد مرَّ معنا ما يتعلق بطلب العلم في بعض دروس المعهد ، ثم قال – صلَّى الله عليه وسلَّم – : (وَمَا اجْتَمَعَ قَوْمٌ فِي بَيْتٍ مِنْ بُيُوتِ اللَّهِ يَتْلُونَ كِتَابَ اللَّهِ ، وَيَتَدَارَسُونَهُ بَيْنَهُمْ ؛ إِلَّا نَزَلَتْ عَلَيْهِمْ السَّكِينَةُ ، وَغَشِيَتْهُمْ الرَّحْمَةُ ، وحفَّتهم الملائكة ، وَذَكَرَهُمْ اللَّهُ فِيمَنْ عِنْدَهُ ، وَمَنْ بَطَّأَ بِهِ عَمَلُهُ لَمْ يُسْرِعْ بِهِ نَسَبُهُ)

أي من الأمور المرغَّبة أن يجتمع قومٌ في مجلس يذكرون الله ؛ لأنهم لو ما ذكروا الله وقاموا من ذاك المجلس من غير ذكر الله إلا كان ذلك المجلس عليهم حسرة وتِرة يوم القيامة ، حيث قال النبي – ﷺ – : (ما اجتمع قوم في مجلس ثم قاموا عنه ولم يذكروا الله إلا كان عليهم حسرة أو ترة) أو كما قال – عليه الصلاة والسلام – .

فهؤلاء يجتمعون في بيتٍ من بيوت الله في المساجد ، ليس في الغارات ، ولا في الكهوف ، ولا في الظلمات ، ولا في ريبة ، ولا في تخطيط وتنظيمات ؛ وإنَّما يقرؤون كتاب الله – عزَّ وجل – يتدارسونه بينهم ، قراءةً ، تعلُّمًا ، وتفهمًا لمعانيه ، إن كان هناك من يعلمهم القراءة ومن يعلمهم معانيه .

ولاحظ أن النَّبي – صلَّى الله عليه وسلَّم – يقول : (وَيَتَدَارَسُونَهُ)

يعني : يتشاركون في مدارسته ، هذا يقرأ ثم هذا يقرأ وهذا يقرأ ، ولم يقل يقرءُونه جماعةً ؛ لذلك العلماء نبهوا على أن القراءة الجماعية بدعة ، ليست مشروعة .

قال : (إِلَّا نَزَلَتْ)

– مــــا الــــــذي يحصــــــــل لهم ؟

– يحصل لهم هذه الأربعة أمور :

الأمر الأول :

قال : (إِلَّا نَزَلَتْ عَلَيْهِمْ السَّكِينَةُ) ؛ أي الطمأنينة والهدوء .

(وَغَشِيَتْهُمْ الرَّحْمَةُ) ؛ أي غطتهم الرحمة أو علتهم الرحمة .

(وَحَفَّتْهُمْ الْمَلَائِكَة) ؛ أي حفوا حول الحلق ؛ لأن الملائكة يبحثون عن حلق الذكر ، فالملائكة تحف بهم ؛ أي تحيطهم وتسمع لهم ، (وَحَفَّتْهُمْ الْمَلَائِكَة) .

إذًا ؛ أولًا : (نَزَلَتْ عَلَيْهِمْ السَّكِينَةُ) ، (وَحَفَّتْهُمْ الْمَلَائِكَة) ، (وَغَشِيَتْهُمْ الرَّحْمَةُ) .

ورابعًا : وهو أعظمها (وَذَكَرَهُمْ اللَّهُ فِيمَنْ عِنْدَهُ) ؛ أي في الملأِ الأعلى وهذا شرف عظيم ، هذا شرف عظيم .

قال العلماء مدارسة القرآن تكون : "للعمل به ، ولحفظه ، وتعلم قراءته ، وتلاوته ، وتكون لتدبره ".

ثم قال – عليه الصلاة والسلام – مُعطيًا قاعدة عظيمة :

(مَنْ أَبَطْأَ بِهِ عَمَلُهُ لَمْ يُسْرِعْ بِهِ نَسَبُهُ) ؛ يعني – عليه الصلاة والسلام – أن العبرة بالعمل الصالح والتقوى ، فتعلو درجة العبد بفضل الله ورحمته ، والعبرة أيضًا بالعمل السيّئ فيحاسب العبد على عمله السوء ، فلا يرفع ذو النسب فوق قدره إن لم يكن له عملٌ صالح ، وإن لم يكن يستحق الرفعة ، ولا يُظلم الفقير أو المسكين ، أو الذي لا يُعبأ له إذا كان تقيًا ؛ فالنَّبي – صلَّى الله عليه وسلَّم – ذكر أن ساق ابن مسعود وكانت دقيقة (أنها أثقل في الميزان من جبل أحد) أو كما قال – عليه الصلاة والسلام – .

فهذه الجملة من هذا الحديث مهمة جدًا ، علينا جميعا أن نتدبرها ، كما قال النَّبي – صلَّى الله عليه وسلَّم – : (يا فاطمة بنت مُحَمَّد إليك عني ، لا أغني عنكِ من الله شيئًا ، يا صفية عمة مُحَمَّد إليك عني لا أغني عنكِ من الله شيئًا) [26] أو كما قال – عليه الصلاة والسلام – .

فـ (مَنْ أَبَطْأَ بِهِ عَمَلُهُ لَمْ يُسْرِعْ بِهِ نَسَبُهُ) إن أردت الدرجات العلى ، وأردت أن تفوز بالنعيم والجنة فاعمل العمل الصالح واجتنب العمل السيء .

26) الراوي:-المحدث :ابن تيمية -المصدر :مجموع الفتاوى - الصفحة أو الرقم 27/435 : ، خلاصة حكم المحدث : صحيح

الحديث السابع والثلاثون

وهو ما رواه ابن عباس – رضي الله عنهما – ، عن رسول الله – صلَّى الله عليه وسلَّم – فيما يروي عن ربه –تبارك وتعالى– ، أي حديث قدسي .

– **والقدسي :** ما كان لفظه ومعناه من الله .

(إنَّ اللَّهَ كَتَبَ الْحَسَنَاتِ وَالسَّيِّئَاتِ ، ثُمَّ بَيَّنَ ذَلِكَ ، فَمَنْ هَمَّ بِحَسَنَةٍ فَلَمْ يَعْمَلْهَا كَتَبَهَا اللَّهُ عِنْدَهُ حَسَنَةً كَامِلَةً ، وَإِنْ هَمَّ بِهَا فَعَمِلَهَا كَتَبَهَا اللَّهُ عِنْدَهُ عَشْرَ حَسَنَاتٍ إلَى سَبْعِمِائَةِ ضِعْفٍ إلَى أَضْعَافٍ كَثِيرَةٍ ، وَإِنْ هَمَّ بِسَيِّئَةٍ فَلَمْ يَعْمَلْهَا كَتَبَهَا اللَّهُ عِنْدَهُ حَسَنَةً كَامِلَةً ، وَإِنْ هَمَّ بِهَا فَعَمِلَهَا كَتَبَهَا اللَّهُ له سَيِّئَةً وَاحِدَةً) رواه البخاري ومسلم [27]

هذا الحديث يُبيّن لنا سعة رحمة الله وفضله على عباده ، ويُبيِّن لنا أنَّنا فقراء إلى الله –عزَّ وجل– ، والله غنيٌ عنَّا .

فالله – عزَّ وجل – بين أنه كتب وقدَّر في اللوح المحفوظ ، وكذا كتب أو أمر الملائكة أن تكتب هذا الأمر على بني آدم في الحسنات والسيِّئات .

(وبَيَّنَ ذَلِكَ) ؛ يعني بيَّن كيف يكون الجزاء في الحسنات والسيئات .

(فَمَنْ هَمَّ بِحَسَنَةٍ) ؛ أي أراد أن يفعل الشيء ، الهم هنا ليس التفكير في الشيء ، إنما إرادة فعل الشيء ، (فَمَنْ هَمَّ بِحَسَنَةٍ فَلَمْ يَعْمَلْهَا) أراد أن يعملها لكن شُغِل عنها ، أو عجز عنها لأمرٍ ما ، فمثلًا أراد أن يصلي الضحى فجاءه ضيف ، هو قام ليتوضأ أو توضأ وأراد أن يصلي الضحى ، فجاءه ضيف ففتح الباب فشغل به تكتب له حسنة : هذه رحمة من الله .

– **لمـــــاذا كتبت له حسنة ؟**

---

27) رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ]رقم[6491:، وَمُسْلِمٌ]رقم[131:، في "صحيحيهما "بهذه الحروف .

لأنه هم أن يفعل فمن سعة فضل الله – عزَّ وجل – كتب له الحسنة ، والحسنة هنا ليست حسنة مبعَّضة أي نصف أو ثلث ، قال : (حَسَنَةً كَامِلَةً) ؛ يعني وإن لم يفعلها إلا أن بهمِّه لها كتبت له حسنة كاملة .

قال : (وَإِنْ هَمَّ بِهَا فَعَمِلَهَا كَتَبَهَا اللَّهُ – عزَّ وجل – عِنْدَهُ عَشْرَ حَسَنَاتٍ إِلَى سَبْعِمِائَةِ ضِعْفٍ إِلَى أَضْعَافٍ كَثِيرَةٍ) ؛ إذا همَّ بها فلم يعملها حسنة واحدة ، أمَّا إن عملها ، عمل الحسنة فإنَّ الله يكتبها له عشر حسنات ، ويضاعفها إلى سبعمائة ضعفٍ إلى أضعافًا كثيرة كما يشاء – سبحانه وتعالى – ، وهذا من سعةِ رحمته ومن فضله – سبحانه وتعالى – ، هذا جانب الحسنات .

وأمَّا جانب السيئات فـ (إِنْ هَمَّ بِسَيِّئَةٍ فَلَمْ يَعْمَلْهَا كَتَبَهَا اللَّهُ عِنْدَهُ حَسَنَةً كَامِلَةً) ، (هَمَّ بِسَيِّئَةٍ) ؛ أي أراد أن يفعلها وأراد أن يعملها ولكن لم يعملها لله ، خوفًا من الله ، وطلبًا للثواب من الله ، كتبها الله عنده حسنة كاملة .

– لماذا تكتب له حسنة ؟

– لأنه ترك شيئا لله ، مثل ذاك الرجل الذي دخل الصخرة مع الثلاثة النفر الذين دخلوا الكهف فأطبقت عليهم الصخرة ، فكان منهم رجل سأل الله – عزَّ وجل – وتوسَّل إليه بعمل صالح ؛ أنه كانت له ابنة عم فراودها عن نفسها – أي بالزنا – فرفضت ، ثم إنها احتاجت للمال فجاءته تسأل المال ، فقال لها : أعطيكِ ولكن تمكنيني من نفسك ، أعطيك المال مقابل الزنا ، حتى إذا كان منها موقع الرجل من امرأته ، قالت له : اتق الله ولا تفض الخاتم إلا بحقه ، فقام عنها وقال : لها اذهبي وخذي المال فعفا عنها ، وذكرته بالمال فتذكر ؛ فهذا تكتب له حسنة كاملة .

نبَّه العلماء على أنه إن هم بالسيئة فلم يعملها ليس لله ، ولكن مثلًا أراد أن يفعل أمرًا فجاء شخص فما استطاع أن يفعله بحضوره ، أو مثلًا أراد أن يسرق فجاءت الشرطة ، أو مثلًا أراد

أن يفعل أيَّ أمر حرام ولم يعمله لا تقوى وخوفًا من الله ، وإنَّما لعوارض أخرى فإن هذا كما ذكر بعض أهل العلم لا تكتب له حسنة ؛ لأنَّه ما تركها لله – عزَّ وجل – .

فهذا الذي لم يفعل المعصية لا خوفًا من الله ، وإنَّما لمانع من موانع الدنيا ، وإلا هو يريد أن يفعلها فإنه لا حسنة له بل تكتب له السيئة ، استدل العلماء بحديث : (القاتل والمقتول في النار ، قالوا : يا رسول الله هذا القاتل فما بال المقتول ؟ قال : هم بقتل أخيه)[28]

ما قتله ولكنه في النار لأنه هم بقتل أخيه ، فاستدلوا بهذا على أنه آثمٌ ، فـ(إنْ هَمَّ بِهَا فَعَمِلَهَا كَتَبَهَا اللَّهُ سَيِّئَةً وَاحِدَةً) ، وهذا من رحمة الله أنه لم يضاعف السيئات ، مثل ما ضاعف الحسنات.

فهذا الحديث فيه أن المسلم عليه أن يستشعر عظيم منَّة الله عليه ، وأنَّ الله – عزَّ وجل – يتحبَّب إليه بفضله ورحمته ، فأسأل الله – عزَّ وجل – أن يجعلنا ممن ينتفعون بهذه الأحاديث ، وبفضل الله – عزَّ وجل – فتكون مانعةً له من السوء والشر .

الحديث الثامن والثلاثون ، نقف عند هذا الحد

وصلَّى الله وسلَّم على نبينا مُحَّد وعلى آله وصحبه وسلم أجمعين .

ولكن قبل أن أنهي الكلمة ، هنا أفادني أخونا –جزاه الله خيرا– ، بكلامٍ للإمام العثيمين – رحمه الله تعالى – في كتاب العلم صفحة أربعة وسبعين ، لمَّا ذكر الحسد وأنه داءٌ ذميم ، ثم قال : " والخلاصة أن الحسد خلق ذميم ، ومع الأسف أنه أكثر ما يوجد بين العلماء وطلبة العلم ، ويوجد بين التجار فيحسد بعضهم البعض ، وكل ذي مهنةٍ يحسد من شاركه فيها ، لكن مع

---

28) قال رسول الله -ﷺ » : -الْقَاتِلُ، وَ الْمَقْتُولُ فِي النَّارِ « ، قَالُوا :يَا رَسُولَ اللَّهِ هَذَا الْقَاتِلُ، فَمَا بَالُ الْمَقْتُولِ؟ قَالَ» :إِنَّهُ أَرَادَ قَتْلَ صَاحِبِهِ « صحيح الألباني

الأسف أنه بين العلماء أشدُّ ، وبين طلبة العلم أشد ، مع أنه كان الأَولَى والأجدر أن يكون أهل العلم أبعد الناس عن الحسد وأقرب الناس إلى كمال الأخلاق .

وأنت يا أخي إذا رأيت الله قد أنعم على عبده نعمة ما فاسع أن تكون مثله ولا تكره من أنعم الله عليه ، فقل : اللهم زده من فضلك ، وأعطني أفضل منه ، والحسد لا يغير شيئا من الحال لكنه – كما ذكرنا آنفا – فيه هذه المفاسد وهذه المحاذير العشرة ولعل من تأمل وجد أكثر – والله المستعان – . "

ذكر هو عشرة محاذير للحسد منها :

"كراهته ما قدره الله ، ومنها أن الحسد يأكل الحسنات ، ومنها ما يقع في قلب الحاسد من الحسرة والجحيم ، ومنها أن في الحسد تشبيهًا باليهود ، ومنها أنه مهما كان حسده ومهما قوي لا يمكّن أبدًا أن يرفع نعمة الله عن الغير ، ومنها أن الحسد ينافي كمال الإيمان ، ومنها أن الحسد يوجب إعراض العبد عن سؤال الله تعالى ، ومنها أن الحسد يوجب ازدراء نعمة الله عليه ، ومنها أن الحسد خلقٌ ذميم ، ومنها أن الحسد الغالب أن يعتدي الحاسد على المحسود ، وحينئذ يأخذ المحسود من حسناته ".

والحمد لله رب العالمين .